دور الشك فى المعرفة عند أوغسطين

إعداد

أمانى حسني محمد

ماجستير قسم فلسفة كلية البنات جامعة عين شمس

إشراف

ا.م.د/ منى عبد الرحمن المولد
ا.م.د / جيهان السيد سعد

دور الشك فى المعرفة عند أوغسطين

ملخص

لا شك أن هدف كل مسيحى هو معرفة الله، أى معرفة السعادة التى لا تضاهيها سعادة أخرى. لذا كان من الطبيعى أن تكون هناك عدة تساؤلات حول كيفية هذه المعرفة .لذلك جاء موضوع بحثنا بعنوان "دور الشك فى المعرفة عند أوغسطين"، حيث يتمحور هذا البحث حول إشكالية معالجة أوغسطين لمسألة اليقين ، وهل يمكن بلوغ اليقين أم أن ذلك مثار للشك؟وإذا كان ذلك ممكنًا فما هو المنهج الذى اتبعه أوغسطين لكى يصل إلى مُبتغاه؟

وهذا ما رأيناه من خلال رصد أهم مراحل الشك فى مسار تكونه الفكرى وبحثه عن الحقيقة . حيث تعد الحقيقة قيمة عليا يحاول أوغسطين الوصول إليها ليصل إلى اليقين. ومن خلال هذه المراحل وجد نفسه أمام العقيدة المسيحية التى أهتدى إليها والتى كانت بمثابة المدخل إلى فكره وتأسيسه للمعرفة اليقينية والذى جاء من خلال رده على الأكاديميين ووصوله إلى إمكانية وجود معرفة يقينية، وتناوله لنظرية الإشراق وقيمة الحدس فى بناء المعرفة عنده.

مقدمة

تعد مسألة المعرفة من أهم المسائل الميتافيزيقية والفلسفية ،فقد كانت الفلسفة ولا تزال تبحث دائمًا عن المعرفة ،معرفة الحقيقة معرفة يقينية مطلقة، فالمعرفة هى أسمى وظيفة للإنسان فى الوجود .لذلك شكلت نظرية المعرفة أو الإبستمولوجيا مكانة أساسية فى فلسفة القديس أوغسطين Saint Augustine (٣٥٤م – ٤٣٠م) (*)لذلك وضع كتابًا خاصًا بالرد على الأكاديميين الجدد "أنصار الأكاديمية المحدثة" بحثًا عن الحقيقة واليقين.

كان القديس أوغسطين دائم البحث عن الحقيقة منذ طفولته وكيف يصل إلى الله، فكان دائماً يسأل نفسه ما الحقيقة؟ وما هو المنهج الذي ينبغى علينا اتباعه لاكتشافها؟ فيقول" **غدًا سأجد الحقيقة، وستظهر لى بوضوح (...) لنبحث أكثر بعناية، ولا نيأس (...) ولكن أين أجدها؟ وكيف أبحث عنها؟**"(١) ويتضح من هذا النص أن أوغسطين كان يحاول الوصول للحقيقة، ولكن لم يكن من أجل الانتصار للعقل - كما عند اليونان -، ولكن كان الدافع عنده هو حاجته للوصول إلى الله، والخلاص من كل الشكوك. ذلك أن هدف كل مسيحى هو معرفة الله، أى معرفة السعادة التى لا تضاهيها سعادة أخرى.ولكن كيف بدأ أوغسطين رحلته بحثاً عن اليقين؟ وما هى المراحل التى مر بها إلى أن وصل إلى مُبتغاه؟

أولاً: مراحل الشك عند أوغسطين :

أ- أوغسطين والكتاب المقدس:

كانت قراءة كتاب "هورتنسيوس Hortensius" لشيشرون Cicero (١٠٦ – ٤٣ ق.م)بمثابة البداية، حيث كانت نقطة تحول كبرى في حياته، إذا توجه بعدها نحو دراسة الفلسفة والحكمة(٢). فيقول أوغسطين: " **في السنة التاسعة العشر من عمرى أكتشفت في صف الخطابة كتابًا لشيشرون يسمى هورتنسيوس فاضطرمت حبًا للفلسفة، وفكرت على الفور فى أن اقف**

---

* أوغسطين : كان القديس أوغسطين لاهوتيًا وفيلسوفًا مسيحيًا، وأحد كبار آباء الكنيسة الكاثوليكية .ولد فى تاغشت سنة ٣٥٤م. بدأ أوغسطين يكتب بعد قراءة "المحاورات الأفلاطونية" فكان أول ما عالج مسألة اليقين، لأنه أعتبرها المسألة المقدمة على سائر المسائل، وهذا موضوع كتاب "الرد على الأكاديميين"، ثم نظر فى "الحياة السعيدة" التى قال شيشرون أنها الغاية من الفلسفة، ودوَّن كتابًا بهذا الأسم، ونظر فى "خلود النفس" فوضع كتابًا بهذا العنوان موضوعه الرئيسى الأسس العقلية للإيمان. وله عدة كتب أخرى منها كتاب "أخلاق الكنيسة الكاثوليكية وأخلاق المانويين" وكتاب فى سفر التكوين ردًا على المانويين ثم خطر له أن يترجم لحياته ويبين كيف قاده الله من الظلمة إلى النور فوضع كتاب "الأعترافات" حوالى سنة ٤٠٠م. انظر: عبد الرحمن بدوى، موسوعة الفلسفة، ج١، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٤، ص٣٤٧؛ يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٤، ص٢٨.

(١) أوغسطين، اعترافات، نقله من اللاتينية إبراهيم الغربى، مراجعة محمد الشاوس، ط٢، دار التنوير، تونس، ٢٠١٥، الكتاب السادس، الفصل الثامن عشر، ص١٠٨.

(٢) على زيغور، اغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسطية، ط١، دار اقرأ، بيروت، ١٩٨٣، ص١٢٣.

نفسى على دراستها"[١]. وساعده كتاب شيشرون فى دراسة كل ما يقود للحكمة فتوجه للمسيحية، فلم يجد فيها مبتغاه، وخرج منها خائبًا وفي هذا المعنى يقول: **"قررت أن أوجه فكرى إلى الكتب المقدسة، وأن أري كيف تكون، وها أنا أري شيئًا لا يفهمة المتكبرون ولا ينكشف للصبيان، شيئًا منخفضًا في المدخل ثم يرتفع شيئًا فشيئًا كلما تقدمنا، وفى كل الجهات حجب من الأسرار الخفية. لم أكن قادرًا على الدخول منه، ولا على احناء رأسى لاجتيازه. ولم يكن شعوري كما كان كلامى منذ قليل عن اهتمامي بذلك الأثر، ولكن بدا لى أنه غير جديد بأن أقارنه بمكانة شيشرون"**[٢].

وبذلك وجد أوغسطين أن الكتاب المقدس أسلوبه غامض إزاء بلاغة شيشرون ومن أجل ذلك سننتقل لنتعرف على المنعرج الثانى فى حياة أوغسطين وهو"أوغسطين والمانوية".

ب- أوغسطين والمانوية :

فى بحث أوغسطين عن الحقيقة بشغف عقلانى اعتنق المانوية مدة تسع سنوات ؛ لأنها اكسبته تفسير كل شئ دون الالتجاء إلى الإيمان على الإطلاق، وبرغم ما في نظريتهم عن أصل الكون ونشأته بآراء غريبة، فأنهم كانوا عقلانيين يعتزون بالعقل ويعتمدون على الفهم[٣].ولكن بدأ شك أوغسطين فى المانوية حينما أقام مدرسة للخطابة ،وعنى بدراسة العلوم الرياضية، هذه العلوم التى وجهت فكر القديس أوغسطين توجيهًا جديدًا، حيث أنه رأى فى العلوم الرياضية وضوحًا لم يجده من قبل فى أى علم عُنيِ بدراسته. فوجد أن علم الفلك العلمى يقدم حقائق يقينية مختلفة كل الاختلاف عن الحقائق التى تقدمها المانوية[٤].

علاوة على ما سبق فقد أوغسطين ثقته في هذا المذهب بسبب محاورته مع فاوستوس **Faustus** - زعيم المانوية - الذى كان ينتظر لقائه لكى يواجهه ويطرح عليه تساؤلات حول العقيدة المانوية، إلا إنه لم يستطع الإجابة بطريقة مقنعة عن تساؤلات أوغسطين.فيقول أوغسطين: **"وطيلة ما يقارب تلك السنين التسع بالذات أننى أصغيت فيها إلى المانويين بعقلى الشارد، كنت انتظر بفارغ الصبر مجئ فاستوس ، إذ كان الآخرون من أولئك الذين كنت الاقيهم بالصدفة عاجزين عن الرد على اعتراضاتى بشأن مثل هذة المسائل الشائكة (...) وما أن عرضت عليه شيئًا مما يؤرقنى من مشكلات، فوجدت رجلًا لا خبرة له بالمناهج الشريفة وحتى قواعد النحو التى يجيدها اتضح أن معرفته بها معرفة عادية، فبدأت أيئس من قدرته على أن يوضح لى المسائل التى كانت تحيرنى، وأن يحلها"**[٥].

---

(١) أوغسطين، تعليم المبتدئين أصول الدين المسيحى، فى الحياة السعيدة، فى الكذب، ترجمة يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، ٢٠٠٧، ص٩٢.

(٢) أوغسطين، اعترافات، الكتاب الثالث، الفصل التاسع، ص٤٩-٥٠.

(٣) إتين جلسون، روح الفلسفة المسيحية فى العصر الوسيط، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، ط٣، القاهرة، ١٩٩٦، ص٦٥-٦٦.

(٤) عبدالرحمن بدوى، فلسفة العصور الوسطى، ط٣، دار القلم، الكويت- بيروت ، ١٩٩٧ ، ص١٧ -١٨.

(٥) أوغسطين، اعترافات، الكتاب الخامس، الفصل الحادى عشروالثانى عشر، ص٨٣-٨٤.

ومن هذا النص يتبين لنا كيف أدرك أوغسطين مذهب المانوية.حيث أظهرت هذه الفترة أنه لا يمكن الوصول إلى الحقيقة بطريق العقل فقط ،وهذا ما دفعه للبحث عن الحقيقة لدى الفيزيائيين، ولدى الفلاسفة الشكاك. فصور أوغسطين ملامح انتقاله في تلك المرحلة من حياته فكتب يقول: **"سعيت جهدى مستعينًا بملكتى النقدية، إلى البحث عن الحجج القوية التى من شأنها أن تمكننى من البرهنة على زيف مذهب المانويين. والحق أنه لو كان فى مقدوري حينئذ أن أتصور جوهرًا روحيًا ما، لتداعت جميع دعائم مذهبهم المختلفة من فورها وما ساغ لعقلى أن يتقبلها، غير أنى لم استطع أن أقف على هذا الجوهر الروحى. ولكن بفضل البحوث والمقارنات التى عقدتها، وجدتنى شيئًا فشيئًا أميل إلى الاعتقاد بأن آراء الكثيرين من الفلاسفة القدماء فى نشأة العالم المادى والنظام الطبيعى تفوق فى معقوليتها آراء المانويين"**[١].

ج- أوغسطين والمذهب الشكى:

تأثر أوغسطين بقراءة "المقالات الأكاديمية" On Academic Scepticism حيث يعرض شيشرون آراء الشكاك وحججهم ببلاغة قوية، وبعد أن نبذ المانوية أتخذ أوغسطين الشكاك كنموذج يقتضى به، ومن هنا أخذ يشكك فى كل شئ[٢]. وقد عبر أوغسطين بقوله **"اعتقد أن الفلاسفة المعروفيين باسم الأكاديميين، يفوقون حكمة من سواهم، لأنهم يقولون إن الشك بكل شئ واجب، وأن الحقيقة لا يمكن أن يفهمها الإنسان، فبدا لي أن تعاليمهم هو الصحيح"**[٣]

ولكن لم يكن اعتناق أوغسطين للشك شاملًا؛ فلم يكن إيمانه بهذا المذهب مطلقًا ولا مرتبطًا بكل الأمور، فهو لم يشك معهم فى العلوم المضبوطة ، ولا فى وجود الله، ووجود عناية ربانية تدبر العالم[٤].كما أنه لم يتخذ الاحتمالية كمذهب نهائي، كما فعل شيشرون، بل يبدو أنه تبناها كمرحلة مؤقتة لابد من تخطيها. حيث كانت رغبته لدرك الحقائق ولليقين تشغله، فكان يبحث عن اليقين التام. وعلى هذا فإنه لم يستقر أكثر من ثلاثة سنوات فى هذا المذهب، بسبب أنه وجد الحقيقة فى الكتب الأفلاطونية [٥] . فاستطاع أوغسطين التخلص من الشك الأكاديمي حيث يرى أن الذى يشك، لا يمكن أن يشك فى تلك الأمور التى بدونها لايمكن الشك، فالشك المطلق مستحيل فعلًا، والحقيقة ماثلة فى العقل بالضرورة[٦]. و بعد أن رأى أوغسطين أن آراء الشكاك لم توضح مبتغاه الذى يريده فبدأ يبحث عن الحقيقة عند الأفلاطونية المحدثة وهذا ما سنوضحه.

د- أوغسطين والأفلاطونية المحدثة:

(١) المصدر السابق،الكتاب الخامس، الفصل الرابع عشر، ص٩٤.

(٢) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوروبية فى العصر الوسيط، ص٢٥-٢٦.

(٣) أوغسطين، المصدر السابق، الكتاب الخامس، الفصل التاسع عشر، ص ٨٩.

(٤) على زيغور، اغسطينوس مع مقدمات فى العقيدة المسيحية والفلسفة الوسطية، ص١٢٧.

(٥) المرجع السابق، ص١٢٨.

(٦) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوروبية فى العصر الوسيط، ص٣٢.

تأثر أوغسطين بالأفلاطونية المحدثة فلم تقتصر قراءته على كتب شيشرون فقط، إذ كان أفلاطون هو فيلسوف أوغسطين المفضل. فتغير تصور أوغسطين عن الله بمعرفته بالأفلاطونية المحدثة؛ وتغيرت فكرته عن الله الذي تخيله جوهر جسمي مادى - كما كانت تعتقد المانوية - فنجده يقول فى الاعترافات: **"صعدت هكذا شيئًا فشيئًا من الأجسام إلى الروح التى تحس بواسطة الجسم، (...)، ومن هنا أيضًا إلى القوة العقلانية، التي يعود إلى حكمها ما يدرك بحواس الجسم، وتلك القوة التى اكتشفت فيها ايضًا إنها متغيرة فى ذاتها، ارتفعت إلى عقلانيتها الخاصة، وابعدت تفكيرى عن طغيان المادة، مفلتة من حشود الأوهام المتناقضة، (...)، وهى تصرخ دون أى تردد أن اللامتغير ينبغى أن يكون أفضل من المتغير"**[١].

ولم يدم إيمانه طويلًا بالفلاسفة الأفلاطونيين وإنما عدل فى هذه الآراء على ضوء مستقره الأخير المسيحية، ويعبر أوغسطين عن هذه المرحلة بقوله: **"ومع إني لم أَوفَّق فى محاولاتى فقد أدركت ماهية الحقيقة التى حرمتنى من رؤيتها ظلمات نفسي، ايقنت أنك موجود، وأنك لا متناه"**[٢].

هـ- اهتداؤه:

بعد أثني عشر عاما من بحثه عن الحقيقة، بداية فى الكتاب المقدس، ثم اعتقاده بالمانوية، وبعدها فى المذهب الشكي، وانتقاله إلى الأفلاطونية المحدثة. يصف لنا أوغسطين كيفية خروجه من هذه الأزمة الروحية وهذا الشك فيعبر عن هذا ويقول:" **فراح يشكو إلى الله ويقول كم من الوقت، ياإلهى، ستظل غاضباً على؟ هل سيتأجل الأمر دائمًا إلى الغد؟ لماذا لا يكون فى الحال أن انهى حياة العار التى أعيشها؟"**[٣]. وبينما كان ذلك فى خلوته، بينما كان يناجى نفسه،سمع صوت صادرًا من البيت [٤]. **"صوت صبي أو صبية، لست أدري، يغنى مرددًا ،"خُذْ ،أِقْرَأْ، خُذْ، أِقْرَأْ"(...) وبعد أن كبحْتُ جماح دموعى، رأيت أنى لم اتلقى أمرًا إلهيًا آخر غير أن افتح الكتاب، وأن أقرأ أول باب أجده فيه، (...) وقرأت فى صمت أول باب وقعت عليه عيناى: لا تعيشوا فى المَآرِبِ والْحَمَاسَاتِ، ولا فى الْمضَاجَعاتِ وَالفُجُورَاتِ، ولاَ فى الْخِصَام والْغَيْرَةَ، بَل الْبَسُوا المَوْلى اليَسُوع المَسِيحَ، ولاَ تُحَاوِلُوا إرضَاءِ اللَّحْمِ، فى غُلْمَاتِهِ، لم أرد أن أقرأ أكثر، فلم**

---

(١)أوغسطين،اعترافات ، الكتاب السابع، الفصل الثالث والعشرين، ص١٣١.

(٢)أوغسطين،اعترافات،الكتاب الخامس، الفصل السادس والعشرين، ص١٣٣.

(٣) المصدر السابق، الكتاب الثامن، الفصل الثامن والعشرين، ص١٦٥.

(٤) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، ص٢٨.

أكن فى حاجة إلى ذلك. فما أن انتهيت، (...)، من هذه الجمل، حتى انتشر فى قلبى ما يشبه نور الأمان، وانقشعت كل ظلمات الشك"[١]

مما سبق يتبين لنا أن منهج الشك فى هذه التحولات الفكرية لم يكن إلا شك منهجى حاول أوغسطين الوصول به إلى الحقيقة، والآن سنحاول معرفة دور الشك فى آراء أوغسطين المعرفية.

ثانياً: دور الشك في المعرفة عند أوغسطين:

تحتل مشكلة المعرفة أهمية كبرى فى كل بناء فلسفى، وقد أدرك أوغسطين أنه يجب عليه قبل البدء فى نظرية المعرفة، أن يبدأ بالرد على الشكاك ونقد دعواهم باستحالة المعرفة اليقينية، لذلك كان كتابه "الرد علي الأكاديميين Against the Academics " وهو أول ما كتبه بعد إيمانه واعتناقه للمسيحية، حيث يعد هذا بمثابة تمهيد لإثبات إمكان المعرفة اليقينية، وأن هناك حقائق يقينية.

- الرد على الأكاديميين:

بدأ أوغسطين بتفنيد الشكاك فيقول: "إن القائل باستحالة المعرفة اليقينية إذا كان غير موقن بما يقول، فإن المعرفة اليقينية عنده لا تكون مستحيلة، فإذن تكون ممكنة، وإن كان موقنًا بما يقول فإنه يكون مناقضًا لنفسه، وتكون المعرفة اليقينية بالتالى ممكنة أيضًا. فهناك حقائق عقلية يقينية كقوانيين المنطق والرياضة ولا يستطيع العقل أن يشك فى صحتها، بينما يستطيع أن يشك فى صحة حجج الشكاك وأن يفندها. وقد أورد أوغسطين مثالًا لليقين الذي لا يتطرق إليه الشك، وهو وجود الذات، فالذى يشك يعلم علم اليقين أنه يفكر، وأنه موجود كذات تفكر، ومهما أخطأ فى إدراك حقيقة الموضوع الذي يفكر فيه فإنه يكون موجودًا حتمًا، لأن غير الموجود لا يخطأ"[٢]. وكما قال أوغسطين **"أنا علي يقين تام من أننى موجود، من أننى أعرف أننى موجود، (...)، ولست مضطرًا للتراجع أمام الأكاديميين المتشككة حين يقولون ماذا لو كنت مخطئا؟ إذا كنت مخطئًا فأنا موجود"** [٣](*).

---

(١) أوغسطين، المصدر السابق، الكتاب الثامن، الفصل التاسع والعشرين، ص١٥٦.

(٢) كامل محمد محمد عويصة، أوغسطين فيلسوف العصور الوسطى، ط١، دار الكتب العلمة، بيروت- لبنان، ١٩٩٣، ص٤٦-٤٧؛ وأيضًا يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوروبية فى العصر الوسيط، ص٣٢-٣٣.

(٣) Augustine,The trinity,translatied by Stepheen Mckenam ,C.SS.R.,the catholic university of America press,Washington ,D.C. ,1963.Book xv,ch .12,21, p 482-483.

ويتضح من هذا النص أن معرفة الذات هى الأساس الأول، وأول الحقائق اليقينية التى انطلق منها أوغسطين. وهذا يذكرنا بحكمة سقراط "أعرف نفسك" الذى رأى أن معرفة الذات ممكنه وهى الأساس لكل معرفة. ولكن أوغسطين جعل من معرفة الذات وسيلة لمعرفة أسمى وهى معرفة الله.

كما أن الشك يتضمن حقائق أخرى كالحياة والتذكر والعلم والحكمة والارادة، لأن الذى يشك يحيا، وإذا تساءل لماذا يشك فإنه يتذكر، وإذا كان يشك فإنه يعلم إنه يشك،وإذا كان يشك فإنه يريد اليقين،ومعنى هذا كله أن الشك موجود وهو حقيقة يقينية، وكل العمليات المتصلة به هى حقائق يقينية، وهذه الحقائق معناها أن هناك ذاتًا هى التى تشك وهى التى تقوم بكل هذه العمليات، ومعنى هذا إننا قد توصلنا إلى اثبات وجود الذات[١]. وبذلك نرى أن أوغسطين قد أقام الحجج على تفنيد آراء الشكاك فيما يخص قولهم بإستحاله المعرفة اليقينية، وقد رتب - كما لاحظنا – على هذه الحقيقة حقائق أخرى كالحياة والتذكر والعلم والحكمة والإرادة، ومعنى هذا كله أن الشك أولًا موجود وهو حقيقة ،وأن كل العمليات المتصلة به هى حقائق يقينية.

ولهذا يرى أوغسطين "أنه من العبث أن يبرهن الشاك بأن الإنسان فى حالة غفوة وأنه يرى الأشياء وكأنه فى حلم، ذلك لأن وجود الإنسان بالفعل أنما يؤكد حقيقة حياته، سواء كان فى حالة من اليقظة أو النوم. وحتى لو أصيب الإنسان بالجنون، فإنه مع ذلك يبقى حيًا. كذلك فإن الإنسان يظل فى جميع الأحوال على وعى بما يريده، فلو أنه أراد أن يحيا سعيدًا، فإنه من البلاهة بمكان أن نوحى إليه بإنه إنسان موهوم. وربما يشكك بعض فلاسفة الشك فى مصداقية الحواس ،

(*) هذا الكوجيتو الأوغسطيني هو ما يظهر واضحًا ويتشابه مع الكوجيتو الديكارتى **حينما قال "حتى لو أقنعت نفسي بعدم وجود شئ البتة فى هذا العالم الحسي، فلا سماء ولا أرض، ولا نفس ولا أبدان، فهل يؤدى ذلك إلى القول كذلك بأننى لست موجودًا؟ كلا، (...). صحيح أنه قد يُعترض علي بدعوى أن ثمة شيطانًا ماكرًا يتعمد خداعى. ولكنه فى هذة الحالة أيضًا ما كان ليجعلنى أشك فى وجودى، فأنا موجود حتى لو كان يخدعنى، (...). ومن هنا ينبغى أن أخلص وقد رويت الفكر، وامعنت النظر (...)، إلى أن هذه القضية "أنا كائن، أنا موجود" هى قضية صحيحة".** انظر: ديكارت، التأملات فى الفلسفة الأولى، ترجمة وتقديم وتعليق، عثمان أمين، تصدير مصطفى لبيب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٩، التأمل الثانى، فقرة ٤، ٥، ص٩٥.

(١) عبد الرحمن بدوى، فلسفة العصور الوسطى، ص٢٣.

ولكنهم لا يمكنهم أن ينتقصوا من قيمة المعرفة التى يملكها العقل الإنسانى من ذاته دون تدخل من الحواس "[١]

كما يوضح أوغسطين أنه حتى الشكاك لديهم يقين ببعض الحقائق؛ فهم يسلمون بوجود فكرة عن الشئ ونقيضه، وعن الصواب والخطأ، فيقول**"أنا واثق بأن هناك عالمًا واحدًا أو أكثر من عالم واحد، فلئن كان الاحتمال الثانى صحيحاً، فإذن هناك احتمال وجود عدد معين من العوالم أو عدد لا محدود من العوالم. وبالمثل يمكن القول إننى مدرك أن العالم ليست له بداية ولا نهاية، أو أن العالم له بداية ولكن ليست له نهاية، أو إنه ليس للعالم بداية وإنما له نهاية، أو أن للعالم بداية ونهاية، ويعني هذا أننى مؤمن بمبدأ التناقضات"**[٢]، وإذا ما أختار الأكاديمى أى قضية ونقيضها، فهذا يعنى أنه على يقين بأن أحد الطرفين صحيح. ويستكمل أوغسطين رده على الشكاك - الذين يعترضوا على دعوة أوغسطين القائلة بإمكان المعرفة - حيث قالوا" **ولكن كيف نثق يا أوغسطين من معرفة أن العالم موجود ما دامت الحواس بطبيعتها خاطئة؟"**[٣] فيرد أوغسطين **"حسناً! فأنا أطلق علي هذا الكل الذي يحتوينا ويمدنا بأسباب الحياة، (...)، اسم العالم (...) وإذا ما سألتنى هل ما تراه وإن كنت نائمًا هو العالم؟ فقد أجبتك بالفعل أننى اسميه العالم كيفما يتبدى لى بوصفه كذلك"**[٤]. إن أوغسطين يتحدث هنا عن العالم الظاهر للأنا، أى العالم الذى يدركه كل إنسان فرد بوصفه موضوعاً للوعى أو مادة للذهن[٥]. وبهذا يثبت أوغسطين أن العالم موجود.

ويقدم أوغسطين أدلته على اثبات إمكان المعرفة اليقينية ردًا علي الشكاك فيقول: **"لو أن ثمة عالمًا واحدًا، وستة عوالم أخري، لكان من الواضح، بصرف النظر عن اعتقادى، أن هناك سبعة عوالم، وأري أن هذه حقيقة دون تردد. ومن يشك فيما أقوله يثبت لى أن هذه النتيجة**

---

(١) فريدريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة" من أوغسطين إلى دانزسكوت"، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام واسحاق عبيد، مراجعة وتقديم إمام عبد الفتاح إمام، المجلد الثانى، ط١، المركز القومى للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠، "القسم الأول"، ص٨١.

See Also, Augustine,The trinity, Book xv,ch .12,21,p 480.

(٢) Augustine, Against The Academics, translation and Amotated By, John J.omera, The newman press, Westminster, Maryland, 1950, B.III,Ch,10,23, p.124-125

(٣) Augustine, Ibid, B.III,Ch,11,24,p .

(٤) جاريث ب .ماثيوز، أوغسطين،ترجمة أيمن فؤاد زهرى،ط١،المركز القومى للترجمة،القاهرة،٢٠١٣، ص٤١.

See Also, Augustine, Against The Academics., B.III , Ch, 11, 24,25, p.126-127.

(٥) جاريث ب .ماثيوز، المرجع السابق، ص٤١.

يمكن أن تكون كاذبة بسبب النوم أو الجنون أو خداع الحواس (...) فمن الذي ينكر أن حاصل ضرب ثلاثة في نفسها ثلاثة مرات هو تسعة،(...)، حتى لو كان الجنس البشرى يغط في نوم عميق" (١)

ويوضح أوغسطين للشكاك أن الخطأ لا يكمن فى الحواس، "فالعين مثلًا، إذا ما رأت العصا منكسرة فى الماء، فإنها تري ما يجب عليها رؤيته، فلو ظهر هذا العصا مستقيمًا لكان هناك خطأ فى العين التى تبصره، فإن الصواب هو تقرير حالة العصا كما يبدو فى صدق تام، وينطبق نفس الشئ عندما أقرر أن هذا الماء بارد بعد لمسه بيدى، ولا مجال هنا للشك فى صدق ما أحس به"(٢).

ويبرهن أوغسطين بمجموعة من الأمثلة تبين إمكان المعرفة اليقينية فيقول إنها أمثلة نعرفها كما تبدو لنا " **فكيف يمكن لشاك من أتباع الأكاديمية أن يكذب شخص ما يقول أعرف أن هذا الشئ أبيض اللون بالنسبة لى، وأعرف أن هذا الصوت جميل فى أذنى، وأعرف أن هذه الرائحة زكية بالنسبة لى، أعرف أن هذا المذاق حلو فى فمى، أعرف أن هذا الشئ بارد بالنسبة لى"** (٣). وبهذا يتضح كيف أتخذ أوغسطين من شك الأكاديميين برهانًا للرد عليهم، فالشك هو صورة من صور تفكير الشك الذى يستخدمه أوغسطين وما هو إلا شك منهجى. وبذلك انهى أوغسطين رده على الشكاك القائلين بعدم إمكان المعرفة، والتى كانت بمثابة بداية لتأسيس نظريته في المعرفة، وتأسيس اليقين. فيتساءل كيف تتم عملية المعرفة؟ لكى نصل بها إلى الله.

ـ مصادر المعرفة:

أن نظرية أوغسطين فى المعرفة اليقينية تمثل نوعين من المعرفة بينهما اختلاف جوهرى حيث توجد درجتين للأشياء المعروفة؛ الأولى يشعر بها العقل من خلال الحواس التي تتلقى المعرفة، والمعرفة الثانية يشعر بها العقل من خلال ذاته، فهو يمثل العالم المعقول وهو

(١) Augustine, Ibid, B.III,Ch,11,25,p 127.

(٢) فريدريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة، ج٢، ص٨٠.
See Also ,Augustine, Ibid,B.III,Ch,11,26 ,p.127-128.
(٣) Augustine, Against The Academics, B.III,Ch,11,26,p 128.

مستقل بذاته دون وساطة الحواس[١]. ويتساءل أوغسطين من أين تأتى معرفتنا بأمور هذا العالم خارج الذات، وهل هناك يقين فى المعرفة الحسية أم العقلية؟

بدأ أوغسطين فى البحث عن الحقيقة معتمدًا على الحواس كمصدر للمعرفة واعتقاده أن المادة هى كل شئ، فيقول: **"إنى عزمت اطرد عنى كل فكرة تقول بشكل جسمى (...) كنت مثقل القلب، وعاجزًا عن القراءة فى باطن نفسى ذاتها أيضًا، كنت أعتقد أن كل ما لم يمتد عبر فضاء ما، أو لا ينتشر، (...) هو العدم المطلق"**[٢] ومن هذا النص يتضح كيف كان أوغسطين يعتمد على الحواس كمصدر للمعرفة، فقد كان يظن أنه حيث لا توجد مادة فإنه لا يوجد سوى الفضاء والعدم.

رأى أوغسطين أن المعرفة الحسية قاصرة عن بلوغ الحقيقة واليقين، لأنه لا شئ ضرورى وثابت في النظام الحسي ،متابعا فى ذلك أفلاطون الذى رأى أن عالم المثل هو موضوع العلم اليقيني، أما عالم الحس فهو عالم يتأرجح بين الوجود واللاوجود، أى أنه يتغير. فكانت نقطة البداية عند أفلاطون هي إثارة الشك فى العالم الحسى ،حيث يرى أن الإدراك الحسي يؤدى إلى انطباعات مختلفة" **فالشئ الواحد يبدو كبيراً عن قرب وصغيراً عن بعدُ ،وإن قلت ثقيلًا ظهر خفيفًا، وكذلك بالنسبة لكل شئ، إذن لا يوجد شئ محدد أو ذو صفة ثابتة على أى من الأحوال"** فكيف نتخذها إذن سبيلاً إلى المعرفة [٣].

لقد أكد أفلاطون أن المعرفة أو العلم لا يمكن أن تأتى من الحواس "ففى كل إدراك حسي هناك عناصر لا تأتى عن طريق الحواس، فلدينا خصائص عامة للأشياء كالوجود واللاوجود والشبه والاختلاف، والوحدة والكثرة، والخير والشر. فكيف نعرفها؟ ليس بالإدراك الحسى وإنما بالعقل"[٤]. كذلك لا تبين لنا الحواس إلا التغير والصيرورة [١] كما أن الإحساس لا يبين لنا الحقائق غير المرئية، لذلك يرفض أفلاطون التوحيد بين المعرفة والإحساس [٢].

---

(١) ترانتي وماركوس، مقالات في فلسفة العصور الوسطى، ترجمة ماهر عبد القادر محمد، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ١٩٩٧، ص٣٠.

(٢) أوغسطين، اعترافات، الكتاب السابع، ص١١٦.

(٣) أفلاطون، محاورة ثياتيتوس ،ترجمة وتقديم أميرة حلمى مطر،دار غريب ، القاهرة،٢٠٠٠، (١٥٢)،ص٤٠.

(٤) محمود زيدان، نظرية المعرفة عند مفكرى الإسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين، مكتبة المتنبي، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٢، ص١٨.

تأثر أوغسطين بنظرية المعرفة الأفلاطونية حيث يرى: "كل ما يصل إليه المرء عن طريق الحس ،وما نسميه بالمحسوس، كل شئ وأى شئ، يخضع لصيروة لا تنقطع، وكل ما لا يبقي مستقرا لا يمكن إدراكه، لأن معنى الإدراك هو الفهم عن طريق العلم، والمرء لا يستطيع أن يفهم التغير المتصل، من ثم فلا يمكن للمرء أن يأمل فى أن يصل إلى حقيقة أصلية عن طريق حواس الجسم"(*)(٣).

ويتضح من هذا النص أن قراءة أوغسطين للأفلاطونية قد أفادته فى التأكيد على أن الحقيقة لا توجد فى الحواس، فتابع أوغسطين بذلك أفلاطون فى تمييزه بين عالمين: العالم الحسى والعالم العقلى.

لقد كان أوغسطين مدركًا إننا كثيرًا ما نخدع أنفسنا فى أحكامنا على الأشياء المدركة بالحس، وأنه على وعى بنسبية الانطباعات الحسية من قبيل أحكامنا على الحار والبارد، وعلى الرغم من أن الأشياء الجسدية التى تدركها الحواس قابلة للتغير بطبيعة تكوينها، ورغم أن التركيز على الماديات والحسيات هو الذي يجلب الآذى والضرر للإنسان، فإننا مع هذا كله نعتمد على الحواس إلى حد بعيد للحصول على نوع من المعرفة(٤).

ومع ذلك لم يتخذ أوغسطين موقف الشك الكامل فى الحواس الجسدية، وفى هذا المعنى يقول: " **نحن لا يمكن أن ننكر فضل الحواس فيما عرفناه بواسطتها، فهى التى عرفتنا بالسماء والأرض علي سبيل المثال. كما إننا فى جميع الأحوال نعلم الشئ الكثير نقلاً عن شهادة الآخرين وإن كانت بعض آرائهم أحيانًا خادعة. ولكن هذا لا يبرر رفضنا الكامل لكل ما يأتينا من**

---

(١) افلاطون، المصدر السابق، (١٥٢)، ص٤١؛ وأيضًا فردريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة، ج١، ص٢١٥.

(٢) أميرة حلمى مطر، الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٨، ص١٧٢.

(*) سبق هرقليطس أوغسطين بالايمان بالصيرورة، وعبر عن ذلك بقوله **"النار تحيا بموت الأرض، والهواء يحيا بموت النار، والماء يحيا بموت الأرض، والأرض تحيا بموت الماء"** انظر هرقليطس شذرة رقم (٢٥-٧٦) نقلًا عن أحمد فؤاد الأهوانى، فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،٢٠٠٩، ص١٠٥.

(٣) إتين جلسون، روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ص٢٩٣-٢٩٤.

(٤) فريدريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة، ج٢، ص٨٢-٨٣.

الآخرين.وإذا كان من السخف قول هذا فيجب علينا أن نعترف ليس فقط بحواسنا الخاصة بل بحواس الأشخاص الآخرين التى أضافت الى معرفتنا"[١].

ونستدل من هذا على أن أوغسطين يدعو إلى إعطاء قدر من المصداقية لحواسنا ، ولشهادة الآخرين، ولكن هذه المصداقية لا ترقى إلى مصاف المعرفة المباشرة الذاتية التى يخبرها الإنسان من داخله، لكن إذا اخبرنى شخص ما عن أمر ما يتسق مع ما يقره العقل البشري، فإننى أصدقه وأقره على ما يقول؛ لأننى أعى وعيًا ذاتيًا استبطانيًا أن ما يقوله صحيح[٢].

يرى أوغسطين أن الاحساس هو أمر يشترك فيه البشر مع الحيوانات، ولكن الذى يميز البشر هو العقل فيقول أوغسطين: **"الحيوانات قادرة على الإحساس والتذكر والسعى وراء ما ينفع وتجنب ما يضر، ولكنها لا تمتلك القدرة على اختزان المعلومات أو القيام بعمليات عقلية، ومن هنا فإن المعرفة الحسية لدي بني البشر أسمي من مثيلتها فى عالم الحيوان. يضاف إلى ذلك أنه في مقدور الإنسان أن يضع أحكامًا عقلانية على هذه الأشياء المحسوسة لتصبح وسائل معينة فى الاقتراب من أعتاب الحقائق الأزلية"**[٣]. إن الإنسان فى حقيقته إنسانان: إنسان خارجى، وآخر داخلى باطنى. والجانب الأول تشترك فيه مع الحيوانات فى كثير من الأمور الجسم المادى، الحياة الغاذية، المعرفة الحسية، صور وذكريات الأحساسات. أما الجانب الآخر فهو الجانب الباطنى وهى على عكس من ذلك ينفرد بخصائص تميزه عن الحيوان[٤].

يرى أوغسطين مسايرًا أفلاطون أن العالم العقلي هو عالم الحقائق الأزلية، فهو المعرفة المؤدية إلى العلم. وهذه الحقائق الأزلية الأبدية موجودة بطبيعتها في النفس الإنسانية. وهذه الحقائق الأزلية هى مثل حقائق العلم و المنطق والرياضة، فالمعرفة هنا هى أكمل من المعرفة الحسية، وبواسطتها نحكم على خطأ أو حقيقة المعرفة الحسية[٥].

---

(١) Augustine,The Trinity,.B. xv,ch .12,21,p 483.

(٢) فريدريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة، ج٢، ص٨٣.
The Trinity,.B. IX,ch .6,9,p 278-279. See Also, Augustin,

(٣) Augustine, Ibid,.B. XII,ch .2,2,p 344.

(٤) زينب الخضيرى، لاهوت التاريخ عند أوغسطين، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٧، ص٢٦.

(٥) على زيغور، اغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسطية، ص٢٠٨.

وهذه الحقائق الأزلية الأبدية لا يمكن أن تستخلص من الحس، لأنها مفترقة عنه، وفى هذا يقول: "لو رأيت خطوطًا قد رسمت كأحسن ما يكون، ولكننى لم استطع إدراك خطوط كالهندسة من الأشياء الحسية. ولكن هل معنى هذا أن المعرفة الحسية مختلفة تمامًا عن معرفة الحقائق الأزلية الأبدية؟ فنجد الجواب يشبه ما قال به أفلاطون من أن المعرفة الحسية ليست غير دافع وباعث يجعل النفس تدخل فى ذاتها لكى تكشف الحقائق الكامنة فيها. وهذه الحقائق هى المقياس الذى نقيس به ما ندركه[١]. ومعنى هذا أن المعرفة الحسية والعقلية أو معرفة الحقائق الأزلية الأبدية متضامنتان معًا فى الإدراك ولا غنى لواحد عن الآخر[٢].

ولكن من أين تأتى هذه الحقائق الأبدية التى نجدها فى نفوسنا؟ إنها لا تأتى من العالم المحسوس، ولا تأتى من أنفسنا، أو من أى كائن آخر روحى مخلوق، لأن الأشياء المخلوقة جميعاً متغيرة[٣].أن هذه الحقائق لا يمكن أن تكون موجودة فى الذات لأن المعلول لا يمكن أن يحتوي أكثر من علته، ولا أن يساوي علته، ولما كانت النفس فانية، فلا يمكن أن تكون علة الحقائق الموجودة بها، بل لابد أنه يوجد مصدرًا آخر هو الذى يضع هذة الحقائق فى الذات[٤]. والسؤال الآن ما هو مصدر هذه الحقائق الأزلية الموجودة بداخلنا؟ يجيب أوغسطين عن هذا السؤال من خلال نظريته عن الاشراق؟ فما هو مضمون هذه النظرية؟

نظرية الأشراق وقيمة الحدس فى بناء المعرفة عند أوغسطين :

يستعين أوغسطين بالأفلاطونية المحدثة فيضع نظريته الإشراقية أو الإشعاع، فى كشف حقائق الأشياء بنور داخلى، واتصال مباشر بالموضوعات دون وساطة. وهذا النور الداخلى هو الله فى صورة معلم داخلى مستقر فى كل نفس إنسانية[٥]؛ حيث يفترض أولاً أن إدراك النفس شبيه بإدراك العين للأجسام، فكما أنه لكى تبصر العين الأجسام لا بد من النور، فكذلك النفس فى

---

(١) عبد الرحمن بدوي، فلسفة العصور الوسطى، ص٢٤.

(٢) كامل محمد محمد عويصة، أوغسطين فيلسوف العصور الوسطى، ص٥٣-٥٤.

(٣) A.H.Armstrong, An Introduction to Ancient Philosophy, Second Edition Methuen&Co.L.T.D.,London ,1949 p.217.

(٤) عبد الرحمن بدوى، فلسفة العصور الوسطى، ص٢٤.

(٥) حسن حنفى، نماذج من الفلسفة المسيحية فى العصر الوسيط "أوغسطين، انسلم، توما الأكوينى، "ط٢"، القاهرة، ١٩٧٨، ص١١-١٢.

إدراكها للحقائق لابد لها من إشراق نور عليها، وكما أن الشمس هى مصدر النور المادى الذى يجعل الأجسام مرئية، فإن الله هو مصدر النور الذى يجعل الحقائق العقلية مبصرة للعقل. فالله بالنسبة إلى عقلنا كالشمس بالنسبة إلى بصرنا، وكما أن الشمس مصدر النور، كذلك الله مصدر الحقيقة[١].

"إن النظرية الإشراقية ليست طريقًا للمعرفة فحسب بل هى وسيلة للسعادة، فالمعرفة الحقة هى معرفة الحقائق الأبوية من المعلم الداخلى، وأساس هذه الحقائق وجود الله. فالله يكشف عن نفسه داخل الفرد، وتتم لهذا الأخير معرفته به.وفى هذه المعرفة توجد السعادة الحقيقية بعد أن يغمر النور الداخلى النفس بالفرح والنشوة"[٢].

وقد عبر أوغسطين عن هذه الحقيقة، فكتب في الاعترافات" **لقد وجدت الحقيقة أينما وجد إلهى الذى هو الحقيقة ذاتها، ومنذ أن عرفت الحقيقة لم أنساها أبدًا"**[٣]. وقد ذكر نفس المعنى أيضًا في محاورة الذات فقال " **اللهم يا أبا الحقيقة والحكمة والحياة الحقيقية والفضل، ويا أبا السعادة والخير والجمال والنور المدرَك، أيها الأب، يا من بك وحدك نستيقظ ونستنير، يا أبا يحذّرنا ويضمن عودتنا إليه"**[٤]. ويتضح من النصوص السابقة بأن الحقائق الأزلية الضرورية موجودة فى النفس بفيض من الله، فالله هو المعلم الداخلى الذى ينير النفوس ويجعلها تدخل إلى أنفسنا. وهو الحقيقة الخالدة. خالق كل الموجودات، والضامن لكل معرفة.

فالحقائق الموجودة فى النفس هى إذن من فيض الله، وهى تؤكد وجود شئ هو المحدث لها[٥]، وقد عبر عن ذلك بقوله: " **نرجع إلى المعلم الذى قيل أنه مستقر فى الإنسان الداخلى، وهو المسيح أى قوة الله الدائمة والحكمة الخالدة (...)، لكن لا ينكشف لها إلا بحسب قدرتها وإرادتها الحسنة أو السيئة، وخطأ أحدهما ليس خطأ الحقيقة التى يرجع إليها إذا لا يخطئ**

---

(١) عبد الرحمن بدوى، موسوعة الفلسفة، ج١، ص٢٥٠.

(٢) حسن حنفى، المرجع السابق ، ص٢٧-٢٨.

(٣) أوغسطين، اعترافات، الكتاب العاشر، الفصل الخامس والثلاثين، ص٢٠٢.

(٤) أوغسطين، محاورة الذات، نقله إلى العربية الخور أسقف يوحنا الحلو، ط١، دار المشرق، بيروت، ٢٠٠٥، الكتاب الأول، الفصل الأول، الفقرة الثانية، ص٨-٩.

(٥) عبد الرحمن بدوى، فلسفة العصور الوسطى، ص٢٦.

النور الخارجى بل تخطئ أعيننا الحسية"[١]. وعلى هذا النحو تكون المعرفة عند أوغسطين تذكرًا ،أى أن المعرفة فطرية موجودة فى نفس الإنسان،ومعنى ذلك أن النظرية الإشراقية عند أوغسطين تتوافق مع فكرة "المعرفة تذكر"عند أفلاطون حيث يؤكد لنا أفلاطون فى محاورة فيدون أن المعرفة فطرية موجودة فى نفس الإنسان فيقول" **أن التعلم عندنا هو ليس شيئًا آخر غير التذكر، وينتج ضرورة أن نكون قد تعلمنا، على نحو ما فى زمن سابق ما نحن نتذكره الآن. فإذا ما تذكر المرء شيئًا، فلابد أن يكون قد عرفه من قبل ذلك"**[٢]

كما يوضح لنا أفلاطون نظرية التذكر من خلال الحوار الذى تم بين سقراط وعبدًا لمينون، ثم وجه الأسئلة لهذا العبد فى الهندسة دون أن يقوم بإعطائه أى معلومات أو يعلمه شيئًا ما، ويستمر الحوار والأسئلة بينهما، ويبدأ شيئًا فشيء فى التذكر. فيجده يجيب بإجابات صحيحة. وينتهى أفلاطون من ذلك إلى أن المعرفة أو الأفكار موجودة فيه، وما على التذكر إلا استعادتها، فما استخراج العلم من ذاته، إلا تذكر [٣].

كما يؤكد أوغسطين أن هذا النور لا ينكشف لكل البشر، بل ينعم بها الله على من يختارهم وفى هذا المعنى يقول: "**إن لم تكن حاسة قلبك مستعدة لأن تتذوق عذوبة الله فما العمل؟ وكيف أظهرها لك؟ (...). يتحدث الله إلى الذين يقدمون له محلاً ولا يتركون للشيطان محلاً آخر (...) إن تركت للشيطان محلًا، فلا تفهم حديث الله إليك، وعقلك غائب عنه"**[٤].

مما سبق يتبين أن من مميزات النظرية الإشراقية إنها لا تستعمل النور الإلهى للمعرفة فحسب، ولكنها بحاجة إلى جهد تبذله الإرادة فى البحث والتأمل فهى لا تلغى دور العقل.فما هو دور العقل فى تحصيل المعرفة ؟هل يكتفى العقل بتحصيل المعرفة دون مساعدة من الإيمان أم لا؟

لقد أمضى أوغسطين حياته كما ذكرنا يبحث عن الحقيقة عبر ثقافات مختلفة للوصول إلى اليقين، وكذلك بحث فى أمور فلسفية مختلفة وهو قلق وروح الشك تسيطر عليه إلى أن انتقل إلى الإيمان بالحقيقة عن طريق المذهب المسيحى. فالعقل وحده – عند أوغسطين - لا يكفى

(١) أوغسطين، المعلم، ترجمة حسن حنفى، ج٢، ط٢، القاهرة، ١٩٧٨، فقرة ٣٨، ص٩١.

(٢) أفلاطون، محاورة فيدون، ترجمة من النص اليونانى مع مقدمات وشروح عزت قرنى، ط٣، دار قباء، ٢٠٠١، (٧٢هـ)، (٧٣أ)، (٧٣ج)، ص١٤٤.

(٣) أفلاطون، مينون، ترجمة وتقديم عزت قرنى، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠١ (٨٢أ)إلى (٨٥د).

(٤) أوغسطين، خواطر فيلسوف فى الحياة الروحية، نقلها إلى العربية الخوري يوحنا الحلو، دار المشرق، ط٧، بيروت، ٢٠٠٤، الكتاب الثانى، الفصل الأول، ص٦٦.

للوصول إلى الحقائق. لم يرض أوغسطين عن منهج المانويين فى الوصول إلى الحقيقة عن طريق المعرفة العقلية وأراد الوصول إلى فهم ما يعلمه عن طريق الإيمان.

يرى أوغسطين أسبقية الإيمان على العقل وأن مهمة العقل هى تفسير حقائق الكتاب المقدس وقد عبر عن ذلك بقوله " **الكتاب المقدس يدعو العقل إلى الخضوع لله، لتوجيهه ورعايته، ويخضع الشهوات للعقل لكى يضبطها"**[١] ومن هنا يبدو أن أوغسطين يخضع العقل للإيمان، لأن الإيمان يدعو إلى ترك الشهوات وضبط النفس ،والعقل بدوره يتحكم فى هذا. "إن الإيمان يدعو لحياة نقية، ولسيطرة الشهوات والحواس مما ينعكس على النفس فتزكو. فالإيمان هو المطهر والمنقى"[٢].

يتبنى أوغسطين مبدأ "أؤمن كى أتعقل" لا يعنى هذا أنه يغفل أهمية البراهين العقلية، فالعقل قادر على أن يثبت بمفرده وجود الله – وهو ما قام به الفلاسفة الوثنيون - بمعزل عن أي وحى وعن كل إيمان. فالإيمان لا يمنع العقل عن تقديم أدلته، والعقل يساعد المؤمن على اكتشاف الجانب العقلانى فى المسألة"[٣]. وبذلك يجعل أوغسطين الإيمان أساس كل شئ وبداية كل حياة صالحة فيقول" **فكل عمل مستقيم يأتيه إنسان لا يمكن أن يكون مستقيمًا إذا لم يرتبط بتقوى الله، وإذا لم يكن الإيمان سباقًا فلا صلاح فى الحياة"**[٤].

فالإيمان عند أوغسطين سابق على العقل ومعين له، فإنه يطهر القلب ويجعل العقل أقدر على البحث واسرع قبولاً للحق.[٥] وقد عبر أوغسطين عن ذلك فقال **"الإيمان يدرك ما لا يدركه العقل البشري، وحيث يعجز العقل ينجح الإيمان، وحيث يعجز العقل ينمو الإيمان"**[٦]. إن التعاليم المقدسة تأمرنا بأن نؤمن كى نفهم، فالعقل بمفرده لم يصل بأوغسطين إلى اليقين، وبذلك رأى أن الإيمان عمُل فكر، وهو عمل ضرورى طبيعى وأساسي فى الحياة الإنسانية[٧]. ولكن ما ما هى مهمة العقل فى نظر أوغسطين؟

يرى أوغسطين أن الإيمان ليس عاطفة غامضة وتصديقًا عاطلًا من الأسباب العقلية، ولكنه قبول عقلى لحقائق، إن لم تكن مدركة فى ذاتها كالحقائق العلمية، فهى مؤيدة بشهادة شهود

---

(١) أوغسطين، مدينة الله،نقله إلى العربية الخور أسقف يوحنا الحلو، المجلد الأول، ط٢ ،دار المشرق، ،بيروت،٢٠٠٦، الكتاب التاسع، الفصل الخامس، ص٤٢٦.

(٢) على زيغور، اغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسطية، ص١٣٤.

(٣) على زيغور، المرجع السابق، ص١٤٣.

(٤) أوغسطين، خواطر فيلسوف فى الحياة الروحية، الكتاب الثانى، الفصل الخامس، ص٨٢.

(٥) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوروبية فى العصر الوسيط، ص٣٠.

(٦) أوغسطين، خواطر فيلسوف فى الحياة الروحية ، الكتاب الثاني، الفصل الخامس، ص٨٥.

(٧) على زيغور، اغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسطية، ص١٤٣.

جديرين بالتصديق، هم الرسل والشهداء، وبعلامات خارقة هى المعجزات. فالإيمان لا ينفر من نقد العقل ما دام الإيمان لا يوجد إلا فى العقل. وبذلك يري أوغسطين أن للعقل مهمتين، مهمة قبل الإيمان وهو أن يقتنع بوجوب الإيمان لا بموضوعه بحيث نقول تعقل كى تؤمن، ومهمة أخرى بعد الإيمان هى تفهم العقائد الدينية بحيث نقول آمن كى تتعقل. والتعقل فى هذه المرحلة الثانية ليس واحدًا فى جميع القضايا، فمنها ما هو طبيعي قابل للبرهان، ومنها ما هو فائق للطبيعة يقتصر عمل العقل بصدده على تفسيره[١].

وبهذا يتضح أن العقل لا يستقل بذاته فى إدراك الحقيقة المطلقة بل لابد من سلطة آخرى وهى فى الغالب سلطة الكتاب المقدس،فلكى يكون برهان العقل يقينيًا لا بد من الاعتماد على السلطة التى تزيل كل شك وتردد قد يتركه العقل فى البرهان .لذلك يلجأ أوغسطين إلى سلطة الكتاب المقدس فى الحقائق الفلسفية. [٢].

(١) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، ص٣٠.

(٢)حسن حنفى، نماذج من الفلسفة المسيحية فى العصر الوسيط.ص١٣-١٤.

خاتمة

من خلال هذا البحث وحديثنا عن دور الشك فى المعرفة عند أوغسطين نستطيع أن نتبين:

١-إن بحث أوغسطين عن الحقيقة، وحبه للحكمة قد قاده إلى البحث فى شتى المذاهب الفلسفية والعقائد الدينية، فتنقل من المانوية إلى الشك ثم إلى الأفلاطونية وغيرها من المدارس الفكرية، وبهذا يكون أوغسطين مر بكذا منعرج فى حياته ليصل فى النهاية إلى العودة إلى أمنية أمه مونيكا وهى العودة إلى المسيحية فتدرج فى مراتبها إلى أن صار أسقفا فى نهاية عمره. وأصبح هدفه وشغله الشاغل توضيح الكتاب المقدس ونشر تعاليمه، فقد كانت محور حياته وكل أفكاره تتمركز حول نقطة واحدة وهى فكرة الله فأدرك أوغسطين أن من واجبه أن يبين للذين أخطأوا حقيقة الوحى المسيحى بعد ما تعرض هو ذاته لها. فرحلته هذه قد ساهمت فى تشعب فكره لينتج نظريات محكمة فى شتى المجالات.

٢- لما كان أوغسطين يسعى الوصول إلى الحياة السعيدة، والتى لا تتحقق إلا بامتلاك الحقيقة، فاستوجب ذلك فى نظر أوغسطين التطرق بداية إلى مسألة إمكانية بلوغ اليقين، فبدأ أوغسطين بكتابه "الرد على الأكاديميين" حيث سعى من خلاله إلى تفنيد كل الحجج الشكية ضد إمكان المعرفة اليقينية، ليصل فى النهاية إلى تقديم أدلة لإثبات إمكان المعرفة اليقينية .

٣- انتهى أوغسطين باثبات الحقائق فكان أول ما توصل إليه إثبات الكوجيتو الأوغسطينى الذى استخدمه فى الرد على الشكاك، وهذا الكوجيتو الأوغسطينى هو ما يظهر واضحًا ويتشابه مع الكوجيتو الديكارتى، ومن خلال التطرق لنظرية المعرفة وجدنا أنه تأثر بنظرية المعرفة الأفلاطونية الذى تدعى بوجوب البحث عن الحقيقة فوق العالم الحسى.

٤- كما تعد نظرية المعرفة عنده هى إحدى البراهين التى قادته لاثبات وجود الله أى قادته إلى وجود كائن أبدى أزلى ضرورى ثابت يحوى هذه الحقيقة.

٥- أن شك أوغسطين شك منهجى بالإضافة إلى أن منهجه منهج جدلى؛ وظهر هذا المنهج أولًا من خلال رده على الأكاديميين، وثانيًا من خلال شكه حيث بدأ الشك أولًا فى مصادر المعرفة الواردة إليه إلى أن وصل إلى الشروط اللازمة للحصول على الحقيقة واليقين.

٦- من خلال التحدث عن النظرية الاشراقية عند أوغسطين تبين أن كل حقيقة فلسفية يمكن أن تنكشف للإنسان بواسطة الله وحده. أى اعتمد على استخدام لغة القلب، إذ يرى أن مصدر هذه الحقائق الأزلية الضرورية هو الله فهى موجودة فى النفس بفيض منه، ووجودها يؤكد وجوده. وهذه النظرية قد استلهمها أوغسطين من الأفلاطونية المحدثة ولكنه اختلف معها فى أن الله لا يفيض من ذاته ولكنه يخلق من العدم. وهذا اتساقا مع عقيدته المسيحية. وما يمكن استخلاصه من هذه النظرية هو قدرة الفيلسوف أوغسطين على إدماج الفلسفة الأفلاطونية فى المسيحية تظهر فهمه العميق للمسيحية والأفلاطونية معاً، لأنه أخذ من الأفلاطونية والأفلوطينية ما يتفق مع الوحى المسيحى.

٧- والناظر فى فلسفة أوغسطين يري إنها فلسفة ايجابية، من حيث إنها تنفي الشرك بالله، كما نجد أن إيمانه إيمانا فطريا قلبيا ثم عقليا وذلك واضح من خلال بحثه عن الحقيقة واليقين والسعادة التى وجدها فى الله والمسيحية حيث رأى أن الايمان ضرورة قصوى لقصور العقل عن بلوغ اليقين والسعادة لوحده .ومن وهنا يرى أوغسطين ان الإلهام مصدر قوى للمعرفة الصحيحة، وهو يشترط لمن يريد أن يتناول بعقله مسألة ما أن يبدأ بالعقيدة أولًا أى الإيمان. فكل ذلك يؤكد أنه لا توجد حقيقة مطلقة إلا فى المسيحية ولا توجد سعادة إلا فى معرفة الله.

قائمة المصادر والمراجع

أولا :المصادر:

أ- المصادر الأجنبية المترجمة إلى العربية:

١- أفلاطون، محاورة ثياتيتوس، ترجمة وتقديم أميرة حلمى مطر، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠ .

٢- ـــــــــ، محاورة مينون، ترجمة وتقديم عزت قرنى، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠١ .

٣- ـــ، محاورة فيدون، ترجمة من النص اليونانى مع مقدمات وشروح عزت قرنى، ط٣، دار قباء،٢٠٠١.

٤- أوغسطين ، المعلم، ترجمة حسن حنفى، ج٢،ط٢،القاهرة،١٩٧٨.

٥- ـــ، خواطر فيلسوف فى الحياة الروحية،نقلها إلى العربية الخوري يوحنا الحلو،دار المشرق، ط٧، بيروت،٢٠٠٤.

٦- ـــ، محاورة الذات،نقله إلى العربية الخور أسقف يوحنا الحلو، ط١،دار المشرق، ،بيروت، ،٢٠٠٥، .

٧- ـــ، تعليم المبتدئين اصول الدين المسيحى،فى الحياة السعيدة ،فى الكذب،ترجمة يوحنا الحلو،دار المشرق،بيروت،٢٠٠٧.

٨- ـــ، مدينة الله،نقله إلى العربية الخور أسقف يوحنا الحلو ،المجلد الأول،،ط٢،دار المشرق، بيروت،٢٠٠٦.

٩- ـــ، اعترافات ،نقله من اللاتينية ابراهيم الغربى ،مراجعة محمد الشاوس، ط٢،دار التنوير، ،تونس ، ٢٠١٥.

١٠- ديكارت، التأملات فى الفلسفة الأولى،ترجمة وتقديم وتعليق ،عثمان أمين،تصدير مصطفى لبيب،المركز القومي للترجمة ،القاهرة،٢٠٠٩.

ب- المصادر الأجنبية المترجمة إلى الإنجليزية:

11- Augustine, Against The Academics, , translation and Amotated By, John J.omera,The newman press, Westminster,Maryland,1950.

12- ـــ,The trinity ,translatied by Stepheen Mckenam ,C.SS.R.,the catholic university of America press,Washington ,D.C. ,1963.

ثانيًا: المراجع:

أ- المراجع العربية:

١٣- أحمد فؤاد الأهوانى ،فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، الهيئة المصرية للكتاب،القاهرة ،٢٠٠٩.

١٤- أميرة حلمى مطر،الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها،دار قباء ،القاهرة،١٩٩٨.

١٥- حسن حنفى ،نماذج من الفلسفة المسيحية فى العصر الوسيط " أوغسطين ،انسلم،توما الأكوينى،"ط٢" ، القاهرة،١٩٧٨.

١٦- زينب الخضيرى،لاهوت التاريخ عند أوغسطين ،دار قباء ،القاهرة،١٩٩٧.
١٧- ـــــــ، فلسفة العصور الوسطى، ط٣، دار القلم ،الكويت- بيروت،١٩٧٩.
١٨- على زيغور ،اغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسطية، ط١،دار اقرأ، بيروت ، ١٩٨٣.
١٩- كامل محمد محمد عويصة، أوغسطين فيلسوف العصور الوسطى،ط١،دار الكتب العلمية،بيروت- لبنان،١٩٩٣.
٢٠- محمود زيدان،نظرية المعرفة عند مفكرى الإسلام وفلاسفة الغرب المعاصرين،مكتبة المتنبي،المملكة العربية السعودية،٢٠١٢.
٢١- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوربية فى العصر الوسيط ، مؤسسسة هنداوى للتعليم والثقافة ، القاهرة ،٢٠١٤ .

ب- المراجع المترجمة إلى العربية:

٢٢- إتين جلسون ،روح الفلسفة المسيحية فى العصر الوسيط،ترجمة إمام عبد الفتاح امام،ط٣،القاهرة،١٩٩٦ .
٢٣- ترانثي وماركوس،مقالات في فلسفة العصور الوسطى ،ترجمة ماهر عبد القادر محمد ،دار المعرفة الجامعية ،القاهرة،١٩٩٧.
٢٤- جاريث ب .ماثيوز ، أوغسطين ،ترجمة ايمن فؤاد زهري ، ط١،المركز القومى للترجمة ، القاهرة،٢٠١٣.
٢٥- فردريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة" من أوغسطين إلى دانزسكوت"، ترجمة إمام عبد الفتاح امام واسحاق عبيد،مراجعة وتقديم إمام عبد الفتاح إمام ، المجلد الثانى، ط١،المركز القومى للترجمة ،القاهرة،٢٠١٠.

ج- المراجع الإنجليزية:

26- A.H.Armstrong ,An Introduction to Ancient Philosophy, Second Edition Methuen&Co.L.T.D.,London ,1949 .

ثالثًا: المعاجم والموسوعات العربية:

٢٧- عبد الرحمن بدوي،موسوعة الفلسفة، ج١ ، ط١،المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ، ١٩٨٤.

Abstract

No doubt that the goal of every Christian to know God, any knowledge of happiness that is not matched by other's happiness. So it was only natural that there will be many questions about how this knowledge, so we searched topic came entitled " the role of Doubt in knowledge at Augustine", where this research focused on the issue of handling problematic Augustine certainty, can achieve certainty or is it a matter for doubt? And if possible what is the Method that follow -Augustine to reach its goals?

And that's what we saw through the monitoring of the most important stages of doubt in the course of its intellectual formation and its search for truth. Where the truth value of high Augustin is tries to reach up to a certainty. Through these stages found him in front of Christian doctrine that guided them and which served as the entrance to the idea and its foundation of knowledge and certainty which came through his response to academics and access to the possibility of knowing the certainty, and dealt with the theory of illumination and the value of intuition in building knowledge.